التهميش في الشعر الجاهلي

أ. م. د . سامي جاسم محمد
جامعة كركوك / كلية التربية للعلوم الانسانية

مدخل

التهميش ظاهرة اجتماعية رافقت اغلب المجتمعات في اطوار حياتها المختلفة وهي – شانها شان كل ظاهرة – لها أسبابها ومظاهرها التي تختلف باختلاف المجتمعات وهي لذلك تختلف زمانيا ومكانيا ، والشي المؤكد ان هذه الظاهرة ليست وليدة عصر معين او مجتمع معين ، بل هي حاضرة على مر التاريخ عبر حالات الاضطهاد والعزل والاستغلال والقهر وشتى المسميات التي نرى انها تندرج ضمن موضوع التهميش بمعنى من المعاني . وقد تتعدد مستويات او اشكال مقاربة هذه الظاهرة في العصور الاخرى التي تلت العصر الجاهلي لان (المهمش) بفتح الميم يقتضي وجود (المهمش) بكسرها وهو متعدد سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ودينيا الا انها في ذلك العصر التزمت اتجاها واحدا هو الاتجاه الاجتماعي لعدم وجود سلطة مركزية مهيمنة تقف مع المهمشين لذلك كان التهميش في ذلك العصر اجتماعيا بامتياز ، ولم ينطو على أبعاد سياسية أو سلطوية أو دينية كما حدث في العصور التي تلته . ومن خلال استقراء نماذج كثيرة – ولا ندعي الاحاطة – من الشعر الجاهلي تلمسنا فيها احساسا بالتهميش تم رصد ثلاث فئات اعتمدها البحث لمقاربة هذه الظاهرة هم : المعمرون ، والغرباء ، والفقراء ، ولذلك قامت خطة البحث على ثلاثة اسباب للتهميش هي : الشيخوخة ، والغربة ، والفقر في محاولة لتسليط الضوء على اسباب ومظاهر هذه الظاهرة في العصر الجاهلي لأجل مقاربة هذا العصر اجتماعيا وثقافيا.

التمهيد

اذا اردنا ان نؤصل لموضوع التهميش لغويا كما جرت العادة في البحوث الاكاديمية فإننا عند مراجعة لسان العرب لابن منظور لا نجد علاقة بين الجذر الثلاثي للفعل (همش) وبين المفهوم الذي نعرفه للكلمة اليوم ، فأغلب معاني هذا الفعل تحوم حول (الحركة والسرعة) قال ابن منظور :(الهَمْشة : الكلام والحركة ، هَمَشَ وهَمِش القوم فهم يهمَشون ويهمِشون وتهامشوا ، وامرأة همشى الحديث بالتحريك : تكثر الكلام وتجلب ، والهَمِش السريع العمل بأصابعه ، والهَمْش العض ، وقيل هو سرعة الاكل ....ويقال للناس اذا كثروا بمكان فأقبلوا وأدبروا واختلطوا ، رأيتهم يهمشون ولهم هَمْشة .....ابن الاعرابي : الهَمْش والهَمَش كثرة الكلام والخطل في غير صواب)(١).

وفي ضوءما سبق يبدو ان العلاقة بين الفعل همش وبين مدلول الكلمة اليوم ليست لغوية بالدرجة الاساس بقدر ماهي ذات بعد اجتماعي او اخلاقي يرتبط بتصرف الانسان وسلوكه ومن ثم يحكم عليه وفق هذا السلوك بانه من هذه الفئة التي تكثر الكلام وتتعجل الحركة بغير روية وتحفظ وهو خلاف ما يجب ان يكون عليه الرجل الانموذج او المثال او السيد او الشريف . اما من الناحية الاصطلاحية فالمهمش هو من يقصى من نسق اجتماعي وثقافي ضمن فضاء مكاني وزماني معين (٢) وهذا الاقصاء مرده الى فقدان الفرد لكل او بعض الامتيازات التي ترتبط بمنظومة القيم السائدة في المجتمع ، او بمعنى أدق القيم التي تتبناها الطبقة العليا في المجتمع ، ووفقا لذلك ينظر الى المهمش على انه قليل الفائدة ، محدود الامكانات ، ضعيف أو منعدم التأثير في محيطه الاجتماعي .

الشيخوخة

يمكن عد الشيخوخة من أبرز أسباب التهميش التي يقف عليها الدارس للشعر في العصر الجاهلي ، اذ كانت هاجسا لدى اغلب الجاهليين فضلا عن الشعراء الذين يمتلكون احساسا مفرطا تجاه الاشياء ، وعلى الرغم من بديهية هذا الامر وكونه النتيجة الطبيعية للتقدم في العمر الا انه ليس كذلك في العصر الجاهلي نظرا لغياب – أوعلى الاقل – ضبابية التصور الديني وما يشكله من عزاء للمعمر، فضلا عن طبيعة الحياة في ذلك العصر التي يحتل العامل الجسماني فيها حيزا كبيرا واساسيا الامر الذي يفتقده المعمر ومن ثم فهو بالضرورة واقع تحت طائلة التهميش عاجلا او آجلا . والباحث في الشعر الجاهلي يرصد وبشكل جلي لا يحتاج الى عناء كبير كثيراً من النصوص تتمحور حول تجربة المعمر وكيف يسقط ضحية للتهميش حين يتقدم به العمر ويقترب من حافة الموت . واول مظاهر هذا التهميش اقصاؤه من امور الجماعة الاعتيادية فضلا عن المهمة وتحوله الى شخص منبوذ خارج فضاء الاهتمام والفاعلية على حد تعبير دريد بن الصمة في قوله :(٣)

أصبحت أُقذفُ أهداف المنون كما ... يرمي الدريئةُ أدنى فوقة الوترِ

في منصفٍ من مدى تسعين من مئة ... كرمية الكاعبِ العذراء بالحجرِ

في منزل نازح م الحي منتبذٍ ... كمربط العير لا أُدعى الى خبرِ

كأنني خربٌ قُصت قوادمهُ ... أو جثةٌ من بغاثٍ في يدي هصرِ

يمضون امرهم دوني وما فقدوا ... مني عزيمة أمرٍ ما خلا كبري

فالشاعر يرى نفسه خارج فضاء الاهتمام والفاعلية قد سحب الى دائرة التهميش والاقصاء سحبا بتأثير شيخوخته التي صيرته غرضا لأسباب المنون واوهنت قواه التي كان يعهدها حتى غدت بعض مظاهرها لا تختلف كثيرا عن الجنس الآخر ، وبتأثير ذلك افرد من المجموع واصبح كالحبارى التي فقدت عوامل الفاعلية (القوادم) او كطير ضعيف بين مخالب جارح من الجوارح منبوذ كالعير لا يدعى الى أمر من الأمور يمضي المجموع أمورهم الصغيرة والكبيرة من دونه لأنه الآن اصبح خارج دائرة الضوء والفعل والقدرة . ولنا ان نلاحظ احتفاء الشاعر في التأكيد على مظاهر ضعفه وانفراده عبر اختياره للأوصاف التي تلائم حالة المعمر (كالحبارى التي هي مضرب

المثل فى الحمق والضعف ، وبغاث الطير التي يضرب بها المثل في الهوان ، والعير التي تفرد بعيدا عن مضارب البيوت)، وعلى الرغم من محاولة الشاعر التشبث بانه لا يزال يمتلك رصيدا من الفاعلية (عزيمة امر) الا ان محاولاته ذهبت ادراج الرياح ولم يعد رصيده من الحكمة التي يزعمها يسعفه من الوقوع في التهميش في ظل غياب قدرته الجسدية ، فكانت الشيخوخة وانحسار متع الحياة سببا في احساس الذات بعزلتها ومأساتها الوجودية وشعورها الطاغي بانها خارج حياتها الاجتماعية (٤)

من هنا يرى المعمر نفسه مهمشا على حافة الحياة ويرصد بإحساس طاغ سلوكيات الجماعة حوله فتتضخم عنده الاشياء ويتلقى افعال الاخرين التي قد تكون طبيعية بإحساس مرهف ومبالغ فيه احيانا فتبدأ معاناته من شعوره الطاغي بالفراغ والعزلة والانسحاب من بيئته الاجتماعية نتيجة لضعف التكيف والاندماج مع الآخرين وتضاؤل الادوار التي كان يقوم بها سابقا (٥) .

وفي سياق ذلك تبدو تجربة تهميش المعمرين معتادة ومألوفة حتى ان بعض الشعراء يستشعرها ويهجس وقوعها ولما تقع بعد ، قال عروة بن الورد (٦) :

اليس ورائي أن أدبّ على العصا فيشمت اعدائي ويسأمني اهلي

رهينةُ قعر البيت كل عشيةٍ يطيفُ بيَ الولدانُ أحدجُ كالرألِ

فالشاعر يتحدث عن امر مستقبلي لما يقع بعد ، ولكنه لفرط تحسسه منه يستشرفه من بعيد فيصفه كما لو كان واقعا فعلا ويحشد للتعبير عنه صورة دبيبه على عصاه وقعوده في قعر بيته لا يسر صديقا ولا يغيض عدوا يحيط به الولدان وهو بينهم متثاقل الخطى في صورة تثير مفارقة حادة بين طواف الولدان وما يتضمنه من الخفة والنشاط والمرح ، وبين تثاقله وتعثر خطاه وما يقتضيه من معاني الضعف والخور . ومن اجل ان لا تكون النهاية كما استشرفها الشاعر كان لابد من المواجهة :

اقيموا بني لبنى صدورَ ركابكم فكلُ منايا النفس خيِّر من الهزلِ

فما دامت خاتمة الحياة ان تنعدم فاعلية الانسان ويهمش فلا مناص اذن من أن يقاوم الشاعر هذه النهاية القاتمة بكل الوسائل وفي مقدمتها القاء النفس في المكاره دون حساب للعواقب كما يشير الشاعر في تعميمه (فكل منايا النفس) ، ولطالما حارب الجاهلي عموما – فضلا عن الشاعر الفارس – شعور التهميش هذا ، لان التهميش في تصوره وفي منظومة القيم التي ينتمي اليهامعادل موضوعي للنفي من الحياة ، وهو – أي التهميش – لا يستقيم ولا يتماشى بين اناس شعارهم :

اذا أنت لم تنفع فضّر فإنما يرادُ الفتى كيما يضر وينفعُ (٧)

وقولهم:

غيثُ الارامل والايتام كلهم لم تطلعِ الشمس الا ضّرَ أو نفعا (٨)

ذلك ان فكرة او موضوع الحياد مع الحياة ليست في قاموس حياة الجاهليين ، اذ ليس في حياتهم خياران في ان يكونوا او لا يكونوا ، لان المرادف ل أن لا يكونوا هو التهميش ، وطبيعة حياتهم وشعاراتهم مناقضة لهذا الخيار من اساسه . والمتتبع للشعر الجاهلي يسمع صدى هذه الافكار لا تخطئه اذن ، فهو مترع بالدعوة الى عدم الركون الى واقع الحال ومواجهته بكل الوسائل المتاحة . من هنا حاول الجاهلي ان يشرب من الحياة بماعونها الواسع – كما يقال – مستغلا كل شيء (الحب ، والحرب ، والصيد ، والخمر ، والفتوة، والرحلة .....) والقائمة تطول ، فأشد ما يعانيه الرجل لاسيما من كانت له في الحياة صولات وجولات – وكل الجاهليين يدعون ذلك – ان يشعر انه في نهاية مطافه معها ، لذلك كان من سبل المواجهة ان يغادر الحياة طائعا قبل ان يغادرها مكرها .

ونتيجة لما مر تنتفي شيئا فشيئا عند المعمر المهمش الرغبة في الحياة لضعف او انعدام الوسائل التي يعيش بها الانسان (القدرة الجسدية) وانعدام الاهداف التي يعيش من اجلها (الحضور والفاعلية) قال مصاد بن ضباب (٩) :

ما رغبتي في آخرِ العيش بعدما أكونُ رقيبَ البيت لا أتغيبُ

اذا ما أردتُ أن أقومَ لحاجةٍ يقولُ رقيبٌ حافظُ أين تذهبُ

فيرجعه المرمى به عن سبيلهِ كما رُدَ فرخ الطائر المتربُ

فالشاعر هنا غير معني بتفاصيل ضعفه وخوره الجسدي بقدر عنايته بضعفه وخوره المعنوي بعد دخوله دائرة التهميش فغدا رقيبا (في)–(وليس على)وبينهما فرق كبير – بيته ووكل به رقيب حافظ يعد عليه حركاته وسكناته وذهابه وايابه ، ويرصد تفاصيل حياته الصغيرة ويتدخل في اخص خصوصياته لعجزه عن تلبية حاجات نفسه فكان كفرخ الطائر الصغير لا يستغني عن الرعاية والاهتمام . هكذا تغيرت معادلة الحياة عنده وهكذا غيبه التهميش الذي يلفتنا اليه الشاعر عبر (فرخ الطائر المتربب) وعبر (اين تذهب) الذي يتضمن الزجر اكثر من تضمنه السؤال ، وعبر تنكير (رقيب)الذي لم تكن معرفته ذات بال ، فليس مهما من يكون بقدر اهمية محمول الرقابة ذاته وان صاحبه غدا موضوعا للتعاطف والاهتمام في دليل صارخ على بعد المعمر المهمش عن تفاصيل الحياة الطبيعية فضلا عن الكبيرة والاستثنائية .

والحياة التي يشعر معها المعمر انه على هامشها تتحول عنده الى حياة ذليلة لا تستحق العيش سيما حين يقارن بين ما كان عليه بالأمس وماهو عليه الآن ، قال حاطب بن مالك النهشلي (١٠) :

ماذا تُرجي من حياةٍ ذليلةٍ تُعمّرها بين الغطارفة المُردِ

وأنت لقيُ البيت كالرأل مدنفٌ وقد كنتَ سباقاً الى غاية المجدِ

وللموتُ خيّر لا مريءٍ من حياته يدبُّ دبيبا في المحلة كالقردِ

لقد اختفى والى الابد وهج الحياة وعنفوانها عند الشاعر فتسرب اليأس الى نفسه لقتامة المستقبل في عينه وليس لجوؤه الى ما يشبه المونولوج الداخلي في التعبير الا دليلا صارخا على حجم المعاناة التي يمر بها المعمر المهمش حين تقفز الى ذهنه المقارنات بين حياته الذليلة التي وصل اليها مكرها وبين الشباب المرد ، بين عجزه

شكلا ومضمونا وبين جيشان الحياة حوله ، فيخرج الشاعر من هذه المقارنات صفر اليدين وتبدأ مرحلة استثقال الحياة والسأم منها وتمني الموت على ان يحيا حياة ذليلة ليس له فيها رصيد من الحضور ولو على المستوى المعنوي فقط .

تشير الدراسات الاجتماعية والفلسفية على اهمية ان يجد الفرد لنفسه مساحة من الحضور داخل بيئته الاجتماعية وتؤكد هذه الدراسات على ضرورة الدور المهني والفاعل للفرد في مجتمعه لأنه يساعده على التوافق النفسي والاجتماعي ومن ثم يكسبه هويته الذاتية (١١) بل ان بعض هذه الدراسات تذهب ابعد من ذلك حين ترى أن وجود الانسان مرتهن بتحقيق ذاته لأنه في المحصلة ليس شيئا سوى مجموع افعاله (١٢) وهذه الافعال انعدمت عند المعمر ونتيجة لذلك همش دوره في الحياة ، لان الرجل في تلك البيئة ينتزع اهميته وتقديره حسب دوره وفاعليته في محيطه والعكس صحيح ، ونتيجة لفقدان المعمر لوسائل تحقيق ذلك كان تهميشه امرا حتميا ، قال بحر بن الحارث (١٣) :

من عاش خمسين حولاً بعدها مئة ... من السنين واضحى بعد ينتظُرُ

وصار في البيت مثل الحلس مطرحاً ... لا يُستشار ولا يعطي ولا يذُرُ

ملّ المعاش وملّ الاقربون له ... طولَ الحياة وشرّ العيشةِ الكدرُ

فالشاعر موجود في الحياة الا انه وجود كالعدم اذ غدا لفرط هوانه على الحياة كالكساء الذي يطرح على ظهر البعير او تحت الثياب الفاخرة وقاية لها من الدنس ، فهو غائب عن تفاصيل الحياة صغيرها وكبيرها لا يستشار في امر من الامور ولا يملك ان يعطي او ان يمنع ، وهو بهذه المعاني معدوم الوجود وان كان على قيد الحياة ، ونتيجة لذلك يسأم العيش ويتكدر صفو العلاقة بينه وبين محيطه الاجتماعي ابتداء بالأقربين وانتهاءً بسائر افراد المجتمع .

وفي سياق هذه العلاقة الجدلية بين التعمير والتهميش التي ينقل الينا المعمر جانبا من تفاصيلها لا نملك الا ان نتعاطف مع المعمر لان تجربته وان كانت ذاتية الا انها في صميمها تجربة انسانية قابلة للتكرار في كل زمان ومكان ، قال قشير بن عطي (١٤) :

كفى حزناً ألا اردّ مطيتي لرحلي ولا أغدو مع القوم في وفدِ

وإن أمرعت قيعانُ نجدٍ ونورتْ من البقل لم أنظر بعينيّ في نجدِ

وأن أسال الأوغاد ما كان شأنهُم ولا أشهد الشورى لغيٍّ ولا رشدِ

وقد كنت أُعطي السيفَ في الروع حقه حياءً إذا جردتُ سيفي من الغمدِ

إنها صورة الانسان المقهور الذي خسر بخسارة الشباب مباهج الحياة كلها ، فاصبح يفتقد كثيرا من تفاصيلها التي قد تبدو لنا اليوم ساذجة الا انها كانت في ذلك العصر تعني الكثير ،فقد انحسرت قوته فلم يعد قادرا على مباشرة اعماله بنفسه ، فلا يرد مطيته اذا نفرت ، ولا يكون ضمن قومه اذا توافدت الوفود ، ولا يمتع عينه بالنظر في مباهج الطبيعة ، بل ينقل له وصفها بعيني غيره ، فضلا عن غيابه عن تفاصيل حياته الاجتماعية فلا يسأل ولا يُسأل ، ولا يشير ولا يستشار بعد ان كان يمارس حضوره في الحياة بتفوق .

وفي مرحلة تالية من مراحل التهميش ينقل لنا المعمر المهمش تجربته وكيف انه اصبح ثقيلا على الحياة بعد ان اصبح ثقيلا على الاقارب قبل الاباعد حتى اصبح وجوده وعدمه وجهان لعملة واحدة ، عندئذ تبدأ الشكوى الدائمة والتبرم بكل شيء لينتهي الامر الى تمني الموت لينتشله من وهدة هذا الاحساس الطاغي بانعدام الحياة ، قال كعب بن رداة النخعي (١٥) :

لقد ملّني الأدنى وابغضَ رؤيتي وانبأني ألا يحلّ كلامي

على الراحتين مرةً وعلى العصا أنوءُ ثلاثاً بعدهن قيامي

فيا ليتني قد سختُ في الأرض قامةً وليت طعامي كان فيه حمامي

ان طبيعة البيئة في شبه الجزيرة العربية بشكل عام والحياة الاجتماعية الجاهلية بشكل خاص تلك الحياة القائمة في كثير من تفاصيلها على التنافس والتنازع والمكاثرة حتى في المصائب (١٦) تجعل من الصعوبة بمكان على المعمر ان لا يهمش دوره فيها و بل نكاد نجزم بالقول ان ذلك تحصيل حاصل ، لان المعمر اراد او لم يرد هو خارج دائرة الفعل ، خارج دائرة اللذة ، ومن ثم فهو خارج دائرة الحياة بالمفهوم الجاهلي للكلمة ذلك ان ما يترتب

على حضور الشيب بوصفه نذيرا من نذر الموت غياب فاعل لعالم الحضور الجاهلي الذي يجد تمظهره في الفعل واللذة (١٧) ونتيجة لذلك تحتشد في ذاكرة او تفكير او عقل المهمش مجموعة من المقارنات التي تعمق لديه الاحساس بالضعف والخور فتثار في نفسه الاسئلة عن جدوى وجوده في حياة لا يشارك فيها .

وبعد الخروج من تهميش الجماعة بما فيهم الاقارب ضمنا ثمة نوع آخر من التهميش هو تهميش المرأة للمعمر ، ولا نأتي بجديد حين نؤكد على اهمية المرأة في حياة الجاهلي فضلا عن الشعراء بوصفها من ابرز متع ولذائذ الحياة عند الجاهلي ولا نغالي اذا قلنا انها الابرز على الاطلاق ، فهي الضلع الأهم من اضلاع هرم لذائذ حياة الجاهليين الى جانب (الفروسية والخمر) وهو هرم متواشج بعضه مع بعض وهو تجسيم لفلسفة الجاهليين بشكل عام ، تلك الفلسفة التي لخصها طرفة بن العبد في ثلاثيته المشهورة (والحال ان المرأة في المجتمعات العتيقة حيث لا وجود لملكية مانعة ، كانت او كادت ان تكون موضوع التملك الوحيد الذي لا مجال للتنازل عنه) (١٨) . ومن ثم فان دخولها على خط تهميش المعمر زاد من شعوره بالعزلة وافتقاد التوافق الاجتماعي ، فكانت ردة فعله حيال ذلك ان ينحو باللائمة على الدهر ويحمله مسؤولية ما آل اليه ، او يتعلل بان الشيخوخة سنة الحياة التي لا مجال لتغييرها ، قال ذو الاصبع العدواني (١٩) :

هزئتْ زنيبةُ أن رأت ثرمي وأن انحنى لتقادمٍ ظهري

من بعد ما عهدت فأدلفني يومٌ يجئ وليلةٌ تسري

حتى كأني خاتلٌ قنصاً والمرءُ بعد تمامه يحري

لا تهزئي مني زنيب فما في ذاك من عجبٍ ولا سخرِ

أولم تري لقمان أهلكه ما اقتاتَ من سنةٍ ومن شهرِ

ان العلامات التي تركها الزمن على جسد الشاعر كانت كفيلة بإثارة استهزاء المرأة وكلما كان الشاعر والانسان عموما مسكونا بسحر الآخر كلما كان احساسه بالزمن قويا ، وبالتغيرات التي طرأت عليه فاجعا ، ولان

الشيخوخة تحدد علاق الانسان الجاهلي بالحياة ، وليست الحياة عنده سوى الشباب والمرأة وكلاهما مفقود الآن فلنا ان نتصور مقدار ما تسببه له من آلام .

لقد كانت الشيخوخة – وما زالت – قانون الوجود الانساني الذي طالما حاول الانسان الجاهلي القفز عليه وتجاوزه لما انطوت عليه نفسه وتغذى عليه شعوره الجمعي بأحادية هذه الحياة وان لا حياة بعدها ، وهذه هي الصورة العامة التي لا تقلل من عموميتها بعض الاستثناءات القليلة التي تعزز هذه القاعدة . وهذه النظرة – اعني أحادية الحياة – هي التي اثرت بالدرجة الاساس على تعاطي الانسان في ذلك العصرمع كثير من قضايا حياته ومنها تجربة الشيخوخة والهرم فضلا عن العوامل البيئية والاجتماعية التي ألممنا ببعضها في ثنايا هذا البحث .

وعلى هذا النحو تهزا زوجة عباد بن شداد منه حين بان لها ضعفه وهزاله ، قال (٢٠):

يابؤس للشيخ عباد بن شداد أضحى رهينة بيتٍ بين أعوادِ

وتهزأ العرسُ مني أن رأت جسدي احدبّ لم تبق منه غير اجلادِ

فان تريني ضعيفا قاصراً عنقي فقد أكعكعُ عني عدوة العادي

وقد أفيء بأثواب الرئيس وقد أغدو على سلهبٍ للوحش صيادِ

فكانت ردة فعله تجاه هذا التهميش ان نكص الى الماضي في محاولة لاستعادة الامجاد القديمة التي كان فيها يطاعن الاقران ويغنم المغانم ويغدو على حصانه يتصيد وحوش الفلاة ، فكانت تلك هي اشراقات الشباب وعنفوان الرجولة والزمن الجميل الذي تحول الى ذكرى لا خيار امام الشاعر حيال واقعه لاسيما مع المرأة الا استذكارها بوصفها نوعا من المواجهة وان كانت مواجهة في حدودها الدنيا الا انها على اية حال غضبة للذات وانتصار لها بعد ان همشت واقصيت من دائرة الاهتمام والتقدير .ومما يلفت الانتباه ان المعمر في كثير من النماذج التي الممنا بها يعن له استذكار ماضيه التليد عندما يكون في مرمى نقد واستهزاء المرأة فحسب ، اما بقية افراد المجتمع فهو ليس معنيا بهم كثيرا او على الاقل يأتون في مرتبة تاليه من سلم اهتمامه ، ومن شأن ذلك ان يرسم علامة استفهام كبيرة عن اهمية انطباع المرأة عند الرجل الجاهلي .

ومن النماذج الصارخة للتهميش التي وقفنا عليها في الشعر الجاهلي في اطار هذا الموضوع هو نموذج زهير بن جناب الكلبي وهو نموذج نادر وعلى ندرته يولد انطباعا مؤلما عما وصل اليه وضع المهمش ، قال (٢١):

ألا يا لقومي لا ارى النجم طالعا من الليل الا حاجبي بيميني

معزبتي عند القفا بعمودها فأقصى نكيري أن اقول ذريني

أمينٌ على أسرارهن وقد أُرى أكون على الاسرار غير امينِ

وللموت خيرٌ من حداج موطأ على الظعن لا يأتي المحل لحين

لقد كانت الشيخوخة وتبعاتها القاسية سببا في هذه المعاملة القاسية وهذه المنزلة الذليلة التي دفع اليها الشاعر بعد ان كاد يكون ملكا متوجا ، فانقلبت به الحال وتحول الى رقم سهل ضمن معادلة الحياة ، حتى بلغ من ضعفه وهوانه ان يضرب على قفاه من امرأته ثم تكون اقصى ردة الفعل عنده ان يقول اتركيني واصبح يعامل معاملة النساء فلا يتحفظن من اسرارهن أمامه ولايتميز بمركبه عنهن ، لذلك كان موته خيرا من حياة هذه مظاهرها .

وفي كل ما مر يتبين ان الجاهليين – فضلا عن الشعراء – لم يتقبلوا موضوع الشيخوخة على الرغم من تقبلهم لموضوع الموت ذاته ، ذلك ان الانسان الجاهلي ببساطة شديدة ولظروف كثيرة يمجد الفاعلية والحضور الحافل في الحياة فهو شغوف بان يستقطب اهتمام وحديث الآخرين وان يتم تسليط الضوء عليه ، وما الفخر والمديح الا تجلٍ من تجليات هذه الروح التي رضعها الانسان الجاهلي كما رضع الحليب من ثدي امه ولقنها وعلمها كما لُقن وعلُم شجرة نسبه ، ولذلك كان موضوع الشيخوخة يسبب له هاجسا كبيرا لأنه معادل للتهميش الذي رُبّيَ على الضد منه تماما .

الغربة

اذا كان تهميش المعمر يرتبط بالزمن – أعني بتقدمه في السن– فان تهميش الغريب يرتبط بالمكان (أي ساكنيه)، فالغريب هو من انفصل مكانيا عن اهله وعشيرته وموطن اقامته ، واضطر طائعا او مكرها ان ينفصل عن القبيلة التي مثلت خيارا يكاد يكون وحيدا في ظل تلك البيئة القائمة – في الغالب – على مأسسة القوة بوصفها القانون الذي فرض نفسه كمرجعية جوهرية يتأسس عليها البناء القيمي للمجتمع القبلي (٢٢) وعلاقة الغربة بالتهميش علاقة تتفاوت قوة وضعفا حسب الزمن والواقع البيئي والاجتماعي ، وهذه العلاقة في العصر الجاهلي حملت البعدين معا ، البعد الزمني وأعني به اننا كلما توغلنا في الزمن الماضي كان الواقع العلمي والحضاري

متواضعا ، والبعد البيئي الاجتماعي الذي يعني قيام أي تجمع مهما كان على الوعي العصبي ورابطة النسب والدم ، ونتيجة لذلك فان ترتيب سلم الاهمية يبدأ من سلسلة الهرم (زعيم القبيلة ، فالوجهاء ، فسائر الناس) وكل هؤلاء تجمعهم – لابد– رابطة النسب والدم التي تمنحهم امتياز الاهمية والقرار ، وسائر الامتيازات الاخرى التي يكفلها لهم النظام القبلي ، من هنا كان الطاريء على نسب هذه المنظومة المغلقة لابد ان ينظر اليه نظرة تختلف عن الآخرين ولو بعد حين .

وفي سياق موضوعنا كانت غربة الانسان سببا من اسباب دخوله التهميش ، فمن المسلمات المتعارف عليها في المجتمع الجاهلي ان الانسان اذا انفصل عن قومه تسلط عليه الضيم الذي هو وجه من وجوه التهميش ، او مرحلة من مراحله ، كما رأى الافوه الاودي (٢٣):

اذا ما الدهرُ أبعد او تقضّى رجالَ المرءِ أوشكَ أن يضاما

والتجربة علمت الجاهليين ان الغريب يتناصر عليه الآخرون مظلوما كان او ظالما ، قال هرم بن حيان العبدي(٢٤):

وجدت الفتى ما كان في غير اهله تنوصرَ مظلوماً عليه وظالما

والغريب لا يدخل ضمن حسابات الاهمية عند كثير من الجاهليين ، ومن ثم فهو واقع تحت طائلة الذل على حد تعبير عمرو ابن هبيرة العبدي (٢٥)

ابى الله للجيران إلا مذلّةً ومن يغتربْ عن قومه يتذلل

وقد نقلت لنا الآثار بعضا من معاناة الغرباء من التهميش الذي لحق بهم ، ومن ذلك ما نقله صاحب الاغاني من قصة التاجر لميس بن سعد البارقي مع أبيّ بن خلف الجمحي حين جحده تجارته ، فقال (٢٦) :

أيظلمني مالي أبيٌّ سفاهةً وبغياً ولا قومي لديّ ولا صحبي

وناديتُ قومي بارقاً لتجيبني وكم دون قومي من فيافٍ ومن سهبِ

وعلى الرغم من عدم شيوع هذا الامر –اعني تهميش الغرباء – بمعنى انه لم يتحول الى ظاهرة عامة ، الا انه يمثل جانبا من جوانب حياة العرب قبل الاسلام سعينا لتسليط الضوء عليه .

لم تكن القبيلة في العصر الجاهلي مجرد تجمع سكاني فحسب ، بل كانت عنوانا لعز القبلي ومجده ، وصمام الامان ضد عوادي الدهر وتقلباته ، فكان الوحيد المنفرد – وفق هذا المنظور – فاقدا لمقومات القوة والعزة ولن يحسب له حساب الا اذا كان في حضن اهله وعشيرته ، ولذلك وضمن هذه الشروط الحياتية البيئية والاجتماعية للجاهليين كان اغتراب الانسان في ذلك العصر معادلا موضوعيا للعقم والجدب في بيئة كثيرا ما تشح بمقومات الخصب والنماء (٢٧) .فكانت غربة الانسان قرينة للذل الذي ينتج عن انعدام الاهمية حتى شاع في عرفهم ان الغريب الذي يموت في غير اهله يسمى ضائعا ولقد سمت العرب عمرو بن قميئة عمرا الضائع لكونه مات غريبا بعيدا عن اهله وقومه (٢٨).

ونظرا لحجم معاناة الغريب في المجتمع القبلي كان من اولويات الوصايا والخبرات التي يلقنها الآباء للأبناء تجنب الغربة لأنها المعادل الموضوعي للتهميش ، قال الاعشى (٢٩) :

سأوصي بصيرا إن دنوتُ من البلى وصاةَ امرئٍ قاسى الامور وجربا

....

متى يغتربْ عن قومه لا يجد له على من له رهطٌ حواليه مغضبا

ويحطمْ بظلمٍ لا يزال يرى له مصارع مظلوم مجراً ومسحبا

وتدفن منه الصالحات وان يسئ يكن ما اساء النارفي رأس كبكبا

وليس مجيراً إن أتى الحيّ خائفٌ ولا قائلا إلا هو المتعيبا

لقد كان من تبعات الغربة هذا التصدع وهذه الخلخلة في علاقة الغريب بمحيطه الجديد الذي يبدو انه لم يتكيف معه فكان ان اتسعت شيئا فشيئا الهوة بينه وبين مجتمعه الجديد فاتسعت تبعا لذلك دائرة التهميش في حياته لكونه الطرف الاضعف ضمن معادلة الوعي العصبي . وكان من ابرز مظاهر التهميش ضعفه حيال الآخرين حين يجدون ملاذا يلوذون به فينتصر لهم ، على حين يقف وحده في الساحة مكشوفا لعدم وجود من يتقوى به ليدافع عنه ، ولذلك يتجرع الظلم رغما عنه فيدفن رصيده من الصالحات ويرفع له لواء السيئة في المحافل ، وتتضاعف عواقب التهميش لتمس صميم وجوده وتجرح سنام كرامته – اذا صح التعبير – حين لا يملك اجارة من يستجيره او ايواء من يلوذ به ، ولعل هذه النقطة بالذات هي من ادل علامات التهميش ، لان الاجارة دليل القوة والمنعة وهي من ابرز المفاخر التي يتمادح بها العرب اذ كان مما يفتخر به العربي ان يكون مأوى لكل

خائف وملاذا لكل طريد لأن في ذلك اعترافا ضمنيا بعزته وقوته وكرمه وهي فضائل يتمنى كل امرئ أن تنسب اليه (٣٠) لتكون خاتمة التهميش الذي وقع على الشاعر ان يعاب في كل ما يقوله حقا كان ما قال او كذبا .

وهكذا بدا ان هناك تلازما بين التهميش وبين الغربة ، لان القبيلة تحوط كيان الانسان القبلي من ان يثلم ، وشخصيته من ان تهان فهو يشعر ان شخصه القبلي – الذي يمثل كيانه – لا يأخذ ابعاده الحقيقية وكيانه الوجودي الا في قبيلته ، ولهذا فهو يحس بغربته بعيدا عنها احساسا مريرا (٣١) . ولأن الغريب بفقده قومه يكون قد فقد مقومات القوة وامتيازات التفوق فانه سيتحول رويدا رويدا الى رقم سهل – باصطلاح السياسيين – ضمن معادلة العصبية القبلية ، قال عمرو بن هبيرة العبدي (٣٢) :

ومن تكُ في غير العشيرة دأرُهُ يُغضّبْ فتبردْ غير مرضي غواضبهْ

يرى كل صوتٍ منهمُ فوق صوتهِ ولا يوجبوا منه الذي هو واجبهْ

وينكرْ عليه إن أرابَ بخطةٍ ولا يستطع تنكير ما هو رائبهْ

وليس ان آووا عليه بموئيٍّ ويوردْ عليه غيره ويشاربهْ

فالغريب يغضب ولا يترضى ، بل يرضى من تلقاء نفسه مكرها دون ان يكلف الآخرون انفسهم رد الحق اليه او عناء استرضائه بأية طريقة اخرى ، فكل الاصوات تعلو فوق صوته ، ولا يتمتع بحقوق كما يتمتع الآخرون بها ، وينكر رأيه ولا يملك ان ينكر على احد ، والأهم من كل ذلك انه لا يملك ان يجير احدا ولأن القوة شرط لازم للمجير كان المغترب عن قومه فاقدا لهذا الشرط من أساسه (٣٣). وبتأثير جدلية هذه العلاقة بين الغربة والتهميش يعن للغريب المهمش ان يقارن بين واقعه اليوم غريبا ، وواقعه في دار قومه ، قالت البسوس حين عقر كليب ناقتها (٣٤)

لعمري لو اصبحت في دار منقذٍ لما ضيمَ سعدٌ وهو جار لأبياتي

ولكنني اصبحت في دار غربة متى يعدُ فيها الذئب يعدو على شاتي

هكذا اثبتت التجارب ان البقاء في غير دار القوم تغرير بالنفس والقاء لها في المكاره ، والانسان عزيز بأهله وعشيرته فان تغرب عنها طاله التهميش عاجلا أم آجلا .

مما سبق تبين ان قضية التهميش عند الغرباء متشابهة ، وانها تتمحور حول جملة من الامور تعد مظاهر للتهميش تارة بالأقوال وتارة بالأفعال ، وفي هذه وتلك نتحسس الآلام النفسية والآثار الاجتماعية التي تخلفها الغربة على الشعراء .

الفقر

كان الفقر– ومازال – أحد الاسباب الاساسية التي يهمش بسببها الانسان ، واذ ارتبط التهميش بالزمن وبالمكان كما حررنا سابقا في الشيخوخة والغربة ، فانه يرتبط كذلك بالواقع الاقتصادي (الفقر) ، وربما يتفاوت العاملان الاولان كلما تقدم الانسان في المدنية والحضارة ، الا ان الفقر هو العامل الوحيد الذي لم يدخل ضمن هذه المعادلة ، اذ أن واقع الحال يشهد ان الفقر كان وما زال سببا اساسيا من اسباب التهميش .واذ دارت نماذج اشعار المعمرين حول اقصائهم من الامور العامة للقبيلة ثم الخروج من اهتمام الاقارب والمرأة ، و دارت نماذج اشعار الغرباء حول الاحساس بالنظرة المختلفة اليهم وانعدام الامتيازات التي يضمنها الانتساب القبلي ، فان النماذج التي بين ايدينا من اشعار الفقر تتمحور حول انعدام التقدير ، وانحلال اواصر القربى ، والاختلال في نظام القيم الاجتماعية . واولى تلك الممارسات التهميشية – اذا صح التعبير – الانتقاص من قدر الفقير لمجرد كونه فقيرا دون اعتبار لمزاياه الاخرى ، قال عمرو بن مالك الضبعي (٣٥) :

ومن يفتقرْ في قومه يحمد الغنى وان كان فيهم ماجد العمّ مخولا

ويزري بفعل المرء قلةُ ماله وان كان اقوى من رجال وأحيلا

فالفقر ينتقص من قدر الانسان ويهمش دوره في مجتمعه فيلقى خارج دائرة الاهتمام ضمن المعايير التي اختارتها الجماعة لنفسها والتي يقيم فيها الانسان على قدر دخله الاقتصادي وليس على ما يملكه من مؤهلات وما يحوزه من صفات .

ونتيجة لممارسات التهميش هذه ليس من الغريب ان تتفشى في المجتمع ادواء لا يصح ان تنمو في تجمع قائم في اساسه على وحدة النسب والعصبية القبلية التي من المفترض ان تكرس فيها مفاهيم التعاطف والتكافل والمساواة بين الجميع ، ومن هذه الادواء النظرة الدونية للفقير وازدواجية التعامل معه ، قال فضالة بن زيد العدواني (٣٦) :

وفي الفقر ذلٌّ للرقاب وقلّما رأيتُ فقيراً غير نكسٍ مذمّمِ

يلامُ وإن كان الصوابُ بكفّه ويحمد آلاء البخيل المدرهمِ

هكذا تحول الفقر الى قيد من الذل يرزح تحت وطأته الفقير ، لأن المجتمع همش دوره واوحى اليه الشعور بالدونية وانه أقل شانا من الآخرين فتضعف شيئا فشيئا ثقته بنفسه وبمحيطه ايضا لان التوافق الاجتماعي عنده تعرض الى هزة عنيفة .

وينشأ من تهميش الفقراء نمط سلبي من التعاملات الاجتماعية تفقدهم الاحساس بالألفة والتعاطف والتراحم ونتيجة لذلك يكون تقييمهم للعالم المحيط بهم وفق تجربتهم معه ، قال أوس بن حجر(٣٧) :

فأني رأيت الناسَ إلا أقلّهم خفافَ العهود يكثرون التنقلا

بني أمّ ذي المال الكثير يرونه وإن كان عبداً سيد الامر جحفلا

وهم لمقلّ المال اولادُ علّةٍ وان كان محضا في العمومة مخولا

ان هذا الايحاء بعلاقة الخصام والنزاع التي يجريها الشاعر عبر الجمع بين صورتين متضادتين (ابناء الام الواحدة واولاد العلة) يؤشر الشاعر عبره انقلابا خطيرا في الاوضاع الاجتماعية واختلالا في نظام القيم القبلية حين يهمش الفقير وان كان صريح النسب عما وخالا ويقدم الغني وان كان عبدا مملوكا . فالطبقة المترفة مسؤولة بشكل من الاشكال عن اصطناع هذه المواضعات الاجتماعية التي كرست التفوق والصدارة والاهتمام للأغنياء حتى لو كانوا من نسب وضيع ، والدونية والتأخير والاهمال للفقراء حتى لو كانوا من نسب اصيل ، فغدا ذلك جزءا من العرف الاجتماعي السائد مكن لنفسه أن يغرس أنساقا ثقافية مضمرة في اللاوعي الجمعي شرعنت لنفسها نظرة التعالي والفوقية متلفعة بمرجعيات مختلفة منها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي (٣٨)

وهذه الممارسات اصبحت امرا مألوفا قد اعتادها الناس ولفرط الفتها واعتيادها تغيرت بموجبها قناعة الشاعر – وهنا مكمن الخطر – في نظام القيم الذي يحكم الافراد فتحول من ناقد وموجه للسلوك السلبي الى منظّر له او في أقل الاحوال من المتبنين له ، قال مالك بن حريم الهمداني(٣٩) :

أنبئتُ والايامُ ذات تجاربٍ وتبدي لك الايام ما لست تعلمُ

بأن ثراء المال ينفع ربه ويثني عليه الحمد وهو مذممُ

وأن قليل المال للمرء مفسدٌ يحزّ كما حزّ القطيع المحرمُ

يرى درجات المجد لا يستطيعها ويقعد وسط القوم لا يتكلمُ

هكذا علمت التجربة الشاعر أن مفاتيح القوة والنفوذ الاجتماعي كلها بيد الاغنياء وأن المال ينتزع الحمد والثناء وان كان صاحبه ذميما في ذاته وصفاته ، قاصرا في امكاناته ، وان الفقر يدفع الى التهميش حين يرى الفقير عيانا تصدر من لا يستحق الصدارة ، وتبجيل من لا يستحق الاحترام ، فتحبط آماله حين يقعد به فقره عن ارتقاء درجات المجد ويقنع مرغما بالمراقبة فقط مرتهنا بشتى المبررات التي تسوغها ثقافة المجتمع .

ومن ممارسات التهميش التي تدخل ضمن اختلال الموازين هوان شأن الفقير عند الناس وان كان في ذاته شريفا فيصبح عرضة للتطاول من الصغير والكبير ويقصى من المحافل والتجمعات العامة ويكون مدعاة للازدراء حتى من اقرب الناس اليه ، قال عروة بن الورد (٤٠):

دعيني للغنى أسعى فاني رأيتُ الناس شرهم الفقيرُ

وأبعدهم وأهونهم لديهم وإن امسى له حسبٌ وخيرُ

وُيقصى في النديّ وتزدريه حليلته وينهرهُ الصغيرُ

من هنا تعالت الدعوات الى امتلاك اسباب الغنى بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة لأجل ان يغادر الفقير دائرة التهميش القاتمة ، قال عروة (٤١) :

قالت تماضر اذ رأت مالي خوى وجفا الاقارب فالفؤادُ قريحُ

مالي رأيتُك في النديّ منكسا وصباً كأنك في النديّ نطيحُ

خاطرْ بنفسك كي تصيبَ غنيمةً إن الجلوسَ مع العيال قبيحُ

فمن افرازات الفقر جفاء الاقارب وما ينتج عن ذلك من مشاعر الاحباط واليأس والشعور الطاغي بقلة الاهمية وانعدام الشأن ،من اجل ذلك تقل فرص الاختيار أمام الانسان الحر فلا يجد بدا من أن يطرح نفسه كل مطرح فإما ان يبلغ مناه في الغنى الذي تحول الى غاية ، واما ان يبلغ عذرا لنفسه امام الناس ، قال عروة (٤٢):

ومن يكُ مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرحِ

ليبلغ عذرا أو يصيب غنيمةً ومبلغ نفسي عذرها مثل منجحِ

وحين يصبح الانسان ثقيلا على الأدنين بتأثير الفقر تنحل شيئا فشيئا اواصر القربى معهم ، ولذلك كان الحل – في نظر عروة – للخروج من هذا المأزق سلوك طريق واحد لا ثاني له ، اما تحصيل الغنى ، أو الموت تحت اسنة الحراب أو في الفلوات ، قال (٤٣):

إذا المرءُ لم يطلب معاشا لنفسه شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

وصار على الأدنين كلّا وأوشكتْ صلات ذوي القربى له أن تنكرا

وما طالبُ الحاجات من كل وجهةٍ من الناس الا من أجدّ وشمرا

فسرْ في بلاد الله والتمسِ الغنى تعشْ ذا يسارٍ أو تموتَ فُتعذرا

ولتفادي أن يعيش المرء على هامش الحياة كانت دعوة الصعاليك الى امتلاك اسباب الخروج من دائرة التهميش الى فضاء الفعل والحزم عن طريق اغتصاب المال بالقوة اذا لم يكن ثمة سبيل غيرها ، فكان هاجس التهميش والخوف من الوقوع تحت طائلته باعثا للشنفرى على أن يجوب الارض طولا وعرضا ، وان يألف الوحش حذرا من ان يعيش حياة مهمشة متلبسة بالذل والمهانة ، قال (٤٤):

وفي الارض منأى للكريم عن الاذى وفيها لمن خاف القلى متحولُ

لعمركَ ما بالأرض ضيقٌ على امرئٍ سرى راغبا أو راهبا وهو يعقلُ

وكانت دعوة عمرو بن براقة الهمداني الى حيازة المال الممنع بالقنا لأجل ردع المظالم ، فأما ان يعيش الانسان ماجدا واما ان يخترمه الموت وليس ثمة بديل آخر ، قال (٤٥):

متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفا حميا تجتنبكَ المظالمُ

متى تطلب المال الممنع بالقنا تعشْ ماجدا أو تخترمكَ المخارمُ

وهكذا تبين أن تعاطي الصعاليك لاسيما عروة بن الورد مع هذه القضية اتسم بالمواجهة والتمرد ورفض الذل والاستكانة على حين أن النماذج التي ألممنا بها آنفا اكتفت بوصف الظاهرة ومعاينة آثارها وتلخيص المعاناة النفسية والاجتماعية لمهمشي الفقر دون أن تقدم حلولا أو بدائل لها .

وفي كلتا الحالتين فالمتأمل لهذه النماذج التي تناولت تهميش الفقراء يلحظ اهمالها للجانب المادي المتعلق بالفقر وهو (الجوع) وابرازها للجانب المعنوي الذي ينضوي تحت مسمى تنمية الشخصية وتكوين الذات مما يدلل على اهمية هذا الجانب في حياة العرب قبل الاسلام واحتلاله مركز الصدارة قياسا بالجوانب الاخرى .

واذ وصلنا الى نهاية مطاف البحث نلخص الآتي :

- تبين من خلال مسار البحث أن قضايا الانسانية هي ذاتها تتكرر في كل زمان ومكان على اختلاف طفيف في هذه الدرجة أو تلك .
- شخص البحث آثارا نفسية واجتماعية للتهميش في ذلك العصر تؤدي في حدودها الدنيا الى شيوع نمط من الاوضاع غير السوية كالعزلة والشعور بالنقص والدونية وضعف الانتماء ، وفي حدودها العليا قد تتفاقم الى الانحراف والعدوانية ، وهذا الامر صالح للتعميم بصرف النظر عن الزمان والمكان .
- تبين من البحث أن بعض عوامل التهميش كالشيخوخة والغربة قد تتفاوت من مجتمع انساني الى آخر الا ان الفقر هو العامل المشترك للتهميش عند كل التجمعات الانسانية بصرف النظر عن حظها من الحضارة والمدنية .
- طرحت الفئات التي كانت ميدانا للبحث رؤيتها للعالم المحيط بها وموقفها منه عبر اداتها المتاحة لها وهي الشعر ملخصة قضية انسانية يبدو انها تكرر نفسها في كل العصور .
- لم يكن تعاطي الفئات موضوع البحث مع هذه الظاهرة واحدا فعلى حين اكتفى بعضها بتلخيص المعاناة النفسية للتهميش فان فئاتا اخرى زادت على ذلك بانتهاج سلوك المواجهة والرفض ومحاولة تجاوز هذه المواضعات الاجتماعية كما هو حال الصعاليك .

الهوامش

١- لسان العرب ، ابن منظور : ١٦/ ٩٢

٢- ينظر: . المهمشون في الادب ، سعاد العنزي thaqafat.com

٣- ديوانه ، تحقيق : د. عمر عبد الرسول :١٠٤(الدريئة) الحلقة التي يتعلم الرامي الطعن والرمي عليها ، (خرب) ذكر الحبارى ، وقيل هو الحبارى كلها ، وهي ضرب من الطيور يضرب بها المثل في الحمق ، (هصر) يقال : ليث هصور وهيصر وهصر : قوي شديد.

٤- ينظر : جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج من الشعر الجاهلي ، د. علي مصطفى عشا : ٢٠ https: www.uop.edu.jo .

٥- ينظر: دراسات في سايكولوجيا المسنين ، د. عبد اللطيف محمد خليفة : ٣١-٣٢.

٦- ديوانه ، دراسة وتحقيق : أسماء ابو بكر محمد : ٨٩

٧- الحماسة للبحتري ،تحقيق د. محمد ابراهيم حور و أحمد محمد عبيد : ٤١٩، والبيت لعبدالله بن معاوية

٨- شرح ديوان الاعشى الكبير ، تحقيق : د. كامل سليمان : ١١٢

٩- ديوان الشعراء المعمرين أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية الى نهاية العصر الاموي ، شمس الاسلام حالو : ٥٤٠

١٠- شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، جمع وتحقيق: عبد الحميد محمود المعيني : ٢-٣

١١-ينظر: دراسات في سايكولوجيا المسنين : ٥٠

١٢- ينظر : دراسات في الفلسفة الوجودية ، د. عبد الرحمن بدوي : ٢٦٣

١٣- ديوان شعراء كلب بن وبرة أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والاسلام ، صنعة محمد شفيق البيطار : ٢٢٢/١ (الحلس) كساء يوضع على ظهر البعير تحت البرذعة ، ويوضع في البيت تحت حر الثياب .

١٤- التعليقات والنوادر ، هارون بن زكريا الهجري ، دراسة ومختارات ، القسم الثاني : ٧٩٠

١٥- كتاب (المعمرين) من العرب وطرف من أخبارهم وما قالوه في منتهى أعمارهم ، أبو حاتم السجستاني : ٧٤

١٦- ينظر : الهجاء والهجاؤن في الجاهلية ، محمد محمد حسين : ١٠٠

١٧- ينظر: جمالية التحليل الثقافي ، د. يوسف عليمات : ١٧٨

١٨ - ينظر: سوسيولوجيا الغزل العربي الشعر العذري انموذجا ، الطاهر لبيب : ٣٧

١٩- ديوانه ، جمع وتحقيق : د. عبد الوهاب العدواني ومحمد نائف الدليمي : ٣٩-٤٠

٢٠- ديوان الشعراء المعمرين : ٤٠٢(أكعكع) ادفع واصد (سلهب) الفرس الطويل العظيم .

٢١- ديوان زهير بن جناب الكلبي ، صنعة الدكتور محمد شفيق البيطار : ١٠٣- ١٠٤

٢٢- ينظر: جدل العصبية القبلية والقيم : ٤

٢٣- ديوانه : ١٠٦

٢٤- الحماسة للبحتري ، ٢٢٥

٢٥- م.ن : ٢٢٦

٢٦- الأغاني ، ١٧/ ٢١٤

٢٧: ينظر: الغربة في الشعر الجاهلي : د. عبد الرزاق الخشروم : ٣٢

٢٨- ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، د. جواد علي : ٣/ ٣٧

٢٩- ديوانه : ١١٥

٣٠- ينظر: الشعراء الصعاليك ، د. يوسف خليف : ٩٨

٣١- ينظر: الغربة في الشعر الجاهلي : ٤٥

٣٢- الحماسة للبحتري : ٢٢٦

٣٣- ينظر: الانتماء في الشعر الجاهلي ، د. فاروق احمد اسليم : ٣٧٠

٣٤- ايام العرب ، محمد احمد جاد المولى وآخرون : ١٤٥

٣٥- معجم الشعراء ، المرزباني ، تحقيق : د. فاروق اسليم : ٣٨

٣٦- ديوان الشعراء المعمرين : ٤٩٤

٣٧- ديوانه ، تحقيق : د. محمد يوسف نجم : ٩١

٣٨- ينظر: جدل المفاهيم في موضوعة التهميش والمهمشين ، د. جمال مجناح : ٦.

٣٩- معجم الشعراء : ٣٠٢

٤٠- ديوانه : ٧٩

٤١- م .ن : ٥٩

٤٢- م . ن : ٥٤

٤٣- م . ن : ٥١- ٥٢

٤٤- شرح شعر الشنفرى الازدي ، محاسن بن اسماعيل الحلبي ، تحقيق وتعليق : د. خالد عبد الرؤوف الجبر: ٦٤

٤٥- عمرو بن براقة سيرته وشعره ، د. شريف راغب علاونه : ١١٣.

المصادر والمراجع

١- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق : د. احسان عباس ، د. ابراهيم السعافين ، الاستاذ بكر عباس ، دار صادر –بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢

٢- الانتماء في الشعر الجاهلي ، د. فاروق احمد اسليم ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٨ ، (د.ط).

٣- التعليقات والنوادر ، هارون بن زكريا الهجري ، دراسة ومختارات ، بقلم : حمد الجاسر ، الكتاب منزل من مكتبة لسان العرب على الانترنيت ، ط١، ١٩٩٢.

٤- جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج من الشعر الجاهلي، د. علي مصطفى عشا https: www.uop.edu.jo

٥- جدل المفاهيم في موضوعة التهميش والمهمشين قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة ، أ .د جمال مجناح . virtuelcampus.univ- msila. dzlfillwp

٦- الحماسة للبحتري ، تحقيق : د. محمد ابراهيم صور واحمد محمد عبيد ، ابو ظبي للثقافة والتراث ، (د.ط) ٢٠٠٧

٧- دراسات في سيكولوجيا المسنين ، د. عبد اللطيف محمد خليفة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، (د. ط).

٨- ديوان الافوه الاودي ، شرح وتحقيق: د. محمد التونجي ، دار صادر – بيروت ، ط١، ١٩٩٨

٩- ديوان اوس بن حجر ، تحقيق : د. محمد يوسف نجم ، دار صادر – بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٩

١٠- ديوان دريد بن الصمة ،تحقيق: د.عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ط) (د.ت)

١١- ديوان ذي الاصبع العدواني ، جمع وتحقيق: عبد الوهاب العدواني ومحمد نائف الدليمي ، مطبعة الجمهورية – الموصل ، ١٩٧٣

١٢- ديوان زهير بن جناب ، صنعة د. محمد شفيق البيطار ، دارصادر– بيروت ، ط١، ١٩٩٩.

١٣- ديوان شعراء كلب بن وبرة ، صنعة د. محمد شفيق البيطار، دار صادر– بيروت ، ط١، ٢٠٠٢

١٤- ديوان الشعراء المعمرين أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية الى نهاية العصر الاموي ، د. شمس الاسلام حالو ، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث دارالكتب الوطنية ، ط ١، ٢٠١٠

١٥- ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء ابو بكر محمد ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية – بيروت ، (د.ط) ، ١٩٩٨.

١٦- سوسيولوجيا الغزل العربي (الشعر العذري انموذجا) ، الطاهر لبيب ، ترجمة : مصطفى المنساوي ، دار قرطبة للطباعة والنشر ، الدار البيضاء – المغرب ، (د. ط) (د. ت)

١٧- شرح ديوان الاعشى الكبير ، تحقيق : د. كامل سليمان ، دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، (د . ت)

١٨- شرح شعر الشنفرى ،محاسن بن اسماعيل الحلبي ، تحقيق وتعليق : د.خالد عبد الرؤوف الجبر ، دار الينابيع للنشر والتوزيع – عمان – الاردن ، ط١، ٢٠٠٤.

١٩- شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، جمع وتحقيق : عبد الحميد محمود المعيني ، منشورات نادي القصيم الادبي ، بريده ، ١٩٨٢.

٢٠- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، د. يوسف خليف ، دار المعارف – القاهرة ، ط٣ ، (د. ت)

٢١- عمرو بن براقة الهمداني سيرته وشعره ، د. شريف راغب علاونة ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان – الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٥.

٢٢- الغربة في الشعر الجاهلي ، د. عبد الرزاق الخشروم ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨٢.

٢٣- كتاب (المعمرين) من العرب وطرف من أخبارهم وما قالوه في منتهى أعمارهم ، أبو حاتم السجستاني ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٩٠٥

٢٤- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر – بيروت ، ط ٨ ، ٢٠١٤

٢٥- معجم الشعراء ، المرزباني ، تحقيق : د. فاروق اسليم ، دار صادر – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥.

٢٦- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، د. جواد علي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ط ٢ ، ١٩٩٣.

٢٧- المهمشون في الادب ، سعاد العنزي ، .thaqafat.com

٢٨- الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، د. محمد محمد حسين ، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط ٣ ، ١٩٧٠ .

الملخص

يتناول هذا البحث قضية التهميش في العصر الجاهلي عبر الوقوف على أسبابها في ذلك العصر والتي تم حصرها في ثلاثة أسباب هي : الشيخوخة ، والغربة ، والفقر ، وتحت كل سبب من هذه الاسباب عوامل موضوعية يتداخل فيها النفسي مع الاجتماعي مع الاقتصادي في محاولة لتلمس الآثار النفسية والاجتماعية التي يخلفها التهميش على الفئات موضوع البحث وللوقوف على جانب من قضايا المجتمع في ذلك العصر أملا في أن يكون هذا البحث اضافة مفيدة الى رصيد الدراسات التي تناولت الجوانب الاجتماعية لتلك الفترة من حياة العرب قبل الاسلام .

Abstract

The present study deals with the subject of marinalization of aging , alienation , and poverty during pre- Islamic era by identifying the reason behind that. There are objective interrelated psychological, social, and economic factors for each reason. The study tries to find out psychological and social impacts caused by these factors on the marginalized phenomena of aging , alienation, and poverty as one of the cases in the society at that era. It is hoped that this research paper presents a useful addition to the previous accumulated studies that dealt with the social aspects of the pre- Islamic period of Arabs' life